الأسرة ودورها في إغناء لغة أبنائها

الدكتور منذر زيتون
وزارة التنمية الاجتماعية
المملكة الأردنية الهاشمية

الأربعاء 7 محرم 1434هـ- الموافق 21 تشرين الثاني 2012م

مقدمة: الحمد لله رب العالمين، وأطيب الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين، سيد العالمين وإمام المتقين وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد.

فإن التأكيد على أهمية اللغة العربية، وعلى دورها في حياة أبنائها، وفي إحياء تراثهم وقيمهم ومبادئهم، وفي الحفاظ على وجودهم مادياً ومعنوياً، يغدو اليوم أمراً ملحاً في ظل ما نراه من تهميش هذه اللغة العظيمة وضعف التمسك بها، وفي الميل عنها –إن قصداً أو جهلاً– لجانب العامية أحياناً، ولجانب اللغات الأخرى مراراً، بعد أن أصبح واضحاً للجميع مدى انتشار تلك اللغات في المجتمعات العربية وبشكل متسارع يخيل معه للناظر أن إيقافه قد يكون أمراً صعباً، نظراً لتشابكها في حياتنا اليومية في مختلف المجالات العملية والعلمية، وارتباطها بمفردات حياتنا وبقوة.. فلقد أصبحت اللغات الأجنبية تحتل مكان اللغة العربية في كثير من المؤسسات التعليمية على اختلاف مستوياتها ودرجاتها في المدارس والجامعات، وتحتل مكانها في التعاملات السياسية "الدبلوماسية" والتجارية والاجتماعية، وكأن اللغة العربية لا تصلح لخوض هذه الغمار ولا إدارة تعاملاتها، بل إن الأدهى والأمر من ذلك ما وصل إليه استخدام اللغات الأجنبية بين عوام الناس في علاقاتهم البينية العادية على ظن منهم أن تلك اللغات الأجنبية وخاصة الإنجليزية منها هي لغات الحضارة والرقي والتقدم.

إن أهم ما ترتبط به باللغة العربية ويرتبط بها الدين القويم، كونها لغة القرآن الكريم، ولغة الحديث الشريف، وهما يشكلان بالنسبة للمسلمين وجودهم المعنوي تماماً، إذ لا حياة للمسلم بلا دينه، ولا يمكن له أن يعرف دينه ولا يفهم أحكامه ومفرداته ومعانيه إلا باللغة العربية، وهو ما يعني انعكاس ضعف هذه اللغة أو التخلي عنها على ضعف الدين واتباعه في النفوس أو حتى نبذه ومعاداته، وإلا كيف سيعرف المرء دينه إذا جهل سبل التواصل معه.

لا شك أن مجمع اللغة العربية يدرك جيداً قيمة اللغة العربية، كيف لا وهو من حماتها، ومن رعاتها، وهو مؤئل لعلمائها ومحبيها، وبالتالي، فإن عقد مثل هذا المؤتمر في هذا الوقت ليعتبر خطوة مهمة من خطوات كثيرة لا بد أن نخطوها جميعاً نحو ترسيخ حب لغتنا في نفوسنا ونفوس قومنا، وتقوية التمسك بها، وحمايتها من أي تهميش أو تعدٍ أو تجاوز.

ويسرني أن أقدم الشكر والاحترام لمجمع اللغة العربية رئيساً ومديراً وأعضاء، على ما نحوني من شرف المشاركة بهذا التجمع العلمي، وقد طلبوا إليّ الكتابة عن (الأسرة، ودورها في إغناء لغة أبنائها)، وقد التزمت بما طلبوا إلي، وكتبت في ذات الموضوع وذات العنوان، الذي يحمل عنصرين اثنين هما: الأسرة، ثم دورها في إغناء لغة ابنائها، وبالتالي، فلسوف يخوض هذا البحث في الحديث عن الأسرة، وخصوصاً أهميتها ودورها في حياة أبنائها، ثم يتحدث بشكل خاص عن دور الأسرة في حماية لغة أبنائها، وإغنائها فيهم، وإغنائهم بها، ولا يخفى دور الأسرة –كمحضن أول لأبنائها، وكمدرسة أولى في حياتهم– في غرس الانتماء للغة العربية، وفي ممارستها، والحرص على التمسك بها.

وبناء على ما سبق، فلسوف يتضمن هذا البحث مبحثين اثنين، هما: الأول، بعنوان: مكانة الأسرة وأهميتها، والثاني، بعنوان: سبل الحفاظ على لغة الأبناء وإغنائها، والتحديات التي تواجه ذلك.

وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد.

المبحث الأول: مكانة الأسرة وأهميتها: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مكانة الأسرة : حظيت الأسرة بمكانة كبيرة في الإسلام وفي الثقافة العربية الموروثة، بما يعكس أهميتها تجاه أفرادها، وتجاه المجتمع كله، كونها محضناً يجمع الزوجين وأبناءهما بدفء العلاقة وسوية الاستقرار، ولأنها تسهم في بناء المجتمع وتقويته.

وتعكس حقيقة ذلك أمور عديدة، منطلقها معنى الأسرة ذاته، إذ تعني في اللغة: الدرع الحصينة[١]، واللفظان التي يتكون منهما المعنى لهما وقع قوي في النفس كما يلاحظ: (الدرع) و(الحصينة)، وهذا إنما يبرز صورة الانطباع الذي يتبادر إلى الذهن بمجرد معرفة هذا المعنى، ويعطي فكرة واضحة عن مكانة الأسرة ودورها في حماية أفرادها وصيانتهم، فهي لهم درع، وأي درع.. حصينة.

وقد يكون أصل كلمة أسرة هو "آسرة"، وذلك لأنها مشتقة في اللغة من: الأسر، والأسر: الخَلْق والشَّد والاحتباس، ومن الإسار، وهو: القيد والرباط، نقول: أَسَرَهُ يَأْسِرُه أَسْراً وإِسارَةً، وهذه المعاني كلها تتجسد في الأسرة وتتحقق بها، فهي بالنسبة لأبنائها سبب في خلقهم بعد اقتران أبيهم بأمهم، ووسطٌ لنشأتهم ونموهم، فهي لهم كالحبس يجمعهم معاً في مكان إقامة واحد في الأصل، ويجمعهم في النسب والمودة والرحمة وغير ذلك من الروابط والجوامع، وهي –أي الأسرة– قيد ورباط لهم جميعاً، بما تقيم بينهم من حقوق وواجبات ملزمة.. من نفقة وقوامة وطاعة وأبوة وأمومة ونحو ذلك، فالأسرة تأسر أفرادها بالمعاني المادية والمعنوية المتعددة.

ثم، إن الأسرة لتعتبر الخصيصة الأخص للمجتمع في نظر الثقافة الإسلامية، ولا يمكن لمجتمع في تصور الإسلام أن يبني ذاته بطريقة سوية إلا إذا قام بناؤه على أساس الأسر، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول "تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة"[٢]، فهو أمر، وغايته تشكيل الأمة وتكثيرها بما يبعث على التباهي بها، وإلا فكيف سيتم تشكيل الأسر من غير زواج، وكيف يكون التباهي بها من غير كثرة تبعث على القوة والمنعة!

إن تشكيل الأسر من شأنه أن يعمل على تنظيم الأفراد في مجموعات صغيرة

---

(١) مصطفى، إبراهيم وآخرون، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الوسيط**، القاهرة: دار الدعوة، ج17، ص1.

(٢) الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ج1، ص365، حديث رقم 2484.

محكمة، ويربطهم فيها بروابط متينة تقويها تنوع العلاقات الحميمة التي تجمع بينهم وتعددها، بل ونموها وزيادتها مع الأيام، فالأفراد في الأسرة من أب وأم وأبناء يرتبطون فيما بينهم بعلاقات الأبوة والأمومة والبنوة والطاعة والمحبة والشفقة والتربية والإنفاق والمسؤولية، وكثير مما سوى ذلك، وهذا الترابط، وهذا القرب والحرص يسهل تعاطي الحقوق والواجبات وحمايتها بين الأفراد فيها، ومن ثم، فإن هذا التنظيم الدقيق يجعل كل مجموعة أو أسرة منها فيما بعد مؤهلة لأن تكون لبنة قوية في بناء المجتمع، انطلاقاً من الإيمان بأن المجتمع الذي يقوم على أسرٍ قوية محكمة أقوى وأشد من ذاك الذي يقوم على أفراد متفرقين، وأن المجتمع الذي يعيش أفراده كلٌ منهم منفرداً أوهن من ذاك الذي يعيش أفراده في مجموعات متراصة يعمل كلٌ منهم فيها لنفسه ولغيره، ويشد بعضهم فيها بعضاً، فيكسب فيها الأفراد انسجاماً وتوافقاً، ويكسب منها المجتمع أمناً وقوة، ولذلك نرى أن الإسلام حرص على تكوين الأسر وحرص أيضاً على قوتها واستمرارها، وتصدى لكل المحاولات التي تريد النيل من الأسر وتوهينها، إيماناً منه بأن تفتيت الأسرة أو إضعافها سيؤدي بالحتم إلى إضعاف المجتمع كله على السواء.

لقد دعا الإسلام أولاً إلى تشكيل الأسر، فأكد على قيمة الزواج وندب إليه، فخاطب النبي صلى الله عليه وسلم الشباب بذلك قائلاً: "من استطاع منكم الباءة فليتزوج"[1]، وقال مخاطباً أمته عموماً: "تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله. **جامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، 1422هـ، ج7، ص3، حديث رقم 5065.

وانظر: مسلم، أبو الحسن القشيري النيسابوري، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج2، ص1018، حديث رقم 1400.

القيامة "[1]، وكره ترك الزواج من القادرين عليه؛ لأن فيه تعطيلاً لحق النفس في الصيانة والحفظ، وتعطيلاً لحق المجتمع في الاستمرار والقوة، واصفاً ذلك بأن فيه مخالفة صريحة له صلى الله عليه وسلم، فقال لمن أقسم أن لا يتزوج حتى يتفرغ للعبادة: "...أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"[2].

ثم عني الإسلام بتقوية الأسرة والنظام الأسري، فوضع للأسرة أحكاماً تامة، تنظم أحوالها وعلاقة أفرادها ببعضهم حتى من قبل أن تتشكل، فأرشد المكلفين إلى كيفية تكوين الأسرة، واختيار الأزواج، ثم وضع شروطاً لضمان سلامة الأسرة وصحتها في كل الأحوال، وشرع الحلول لما قد يواجهها من ظروف خاصة من داخلها أو من خارجها، استباقاً لاحتمالات قد تقع من نحو خلافات ومشكلات وأهواء، قد تنتهي –فيما لو تركت من غير حلول– إلى العصف بالأسرة وبمن فيها على السواء، لأن البشر ذوو طبائع مختلفة ومتباينة أحياناً، ولذلك كانت الحلول الموضوعة في نظام الأسرة شاملة شمول ذلك، التنوع إلى درجة أن الإسلام أدرج في تعاليمه نصوصاً خاصة لفض تلك المنظومة الاجتماعية إذا استحال بقاؤها واستمرارها، حرصاً منه على مكتسباتها إن وصلت إلى شيء من المكتسبات، وحرصاً على أفرادها الذين هم محور الاهتمام والتنمية في الإسلام، فالفرد في نظر الإسلام في صلب الاهتمام لأنه الخليفة الموكول إليه أمر خلافة الأرض والمكلف بالعمل والبناء، فإن فشلت الأسرة في الاستمرار لسبب ما فإن الإسلام يحترم ذلك ويسمح بفضها على كراهة، لكنه يحرص أيضاً على إعادة تكوين أسر جديدة لهؤلاء الأزواج مرة أخرى إغناء لهم، قال تعالى [وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته] (سورة النساء: 13).

---

(١) الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ج1، ص365، حديث رقم 2484.

(٢) صحيح البخاري، ج7، ص2، حديث رقم 5063.

المطلب الثاني : أهمية الأسرة : إلى جانب ما تحققه الأسرة من فوائد وثمار للزوجين –الرجل والمرأة على السواء– مما يمكن اعتباره مكاسب شخصية.. كما في تحصيل أسباب المتعة الجسدية، والمؤانسة، والإشباع العاطفي، والسكن، والاستقرار.. فإن أهميتها تتعدى ذلك إلى حيث الأبناء والمجتمع والأمة ككل، وفق أدوار متعددة تلعب فيها الأسرة الدور الرئيس، ولعل من ذلك:

(1) الحفاظ على النوع الإنساني : فالزواج في الثقافة السليمة هو الطريق الطبيعي لإنجاب الأطفال واستمرار البشرية والحياة الإنسانية على البسيطة، وفوق أن ذلك حاجة فطرية للناس من أجل الاستمرار وبقاء نسلهم، فإنه أيضاً مقصد شرعي أكد عليه الإسلام، فقد دعا الإسلام إلى إنجاب الأطفال، وأفتى العلماء المسلمون – بناء على ذلك– بتحريم تحديد النسل أو منعه، إذ أن تحديد النسل يفرغ الزواج من إحدى معانية المهمة وهي التناسل والتي يذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى [والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة] (النحل: 72).

وإذا كان الإسلام قد دعا إلى التناسل، فأمر أن يكون فقط من خلال الزواج الشرعي، فحرم الزنا، ولم يعترف بنسب ما تنتجه العلاقات الجنسية خارج إطاره من أطفال، فمنع نسب مولود العلاقة الحرام إلى الزاني، فقال النبي صلى الله عليه وسلم "الولد للفراش وللعاهر الحجر"[1].

في مقابل ذلك نرى اليوم أقواماً من غير المسلمين لم يعطوا الزواج الأهمية التي يستحقها، فعزف كثير منهم عنه، وراحوا يبحثون عن شهواتهم وحاجاتهم خارج إطاره، ولم يروا في الإنجاب غاية ولا حاجة، فاضمحل نسلهم بعد أن قلت نسبة المواليد بينهم، وصاروا يعانون من نقص مطرد في أعدادهم إلى حد خطير أعلن معه عقلاؤهم خطورة ذلك النقص المتزايد وتأثيره على وجودهم كله، واضطروا بعد أن بانت

---

(١) صحيح البخاري، ج4، ص53، حديث رقم 2053.

الحقيقة الفاجعة أمامهم، أن يفتحوا أبواب الهجرة لأعراق من غير أعراقهم، رغم ما كانوا يتنطعون به من نقاء أجناسهم، وتفوقهم على غيرهم من الخلق، ليسدوا خلل تناقص أعدادهم وتأثيره على سلامة استمرار الحياة في بلادهم.

(2) ضمان نقاء النسل: أي، نقاؤه من اختلاط الأنساب، فالنسب في ظل زواج شرعي ينعقد برضا طرفيه وحضور ولي الزوجة وبالإشهار يكون واضحاً بيناً، فالأب معروف والأم معروفة، وتجد المسلم يعلم أصوله إلى مستوى بعيد، فيحفظ اسم أبيه وجده ومن بعده ومن بعده، إلى حد أن كثيراً من المسلمين يحتفظ بشجرة عائلته التي ترد نسبه إلى الجد الأول قبل مئات السنين، في حين أن بعض الأفراد عند غيرنا أو كثيراً منهم لا يعرفون أسماء آبائهم أو أمهاتهم، فضلاً على أنهم لا يعرفون أجدادهم أو أعمامهم أو عماتهم أو أخوالهم أو خالاتهم بالضرورة، بل إن قوانينهم تسمح لهم عدم تسمية الابن باسم أبيه، أو تسميته باسم مفرد من غير ذكر أب أو جد.. ومعلوم ما ينبني على ذلك من اختلالات عظيمة، وآثار سيئة تتعلق في أمور ضرورية كثيرة مهمة مثل: النسب والنفقة والتربية والميراث، وغير ذلك من الحقوق التي يجب أن تثبت للولد.

إن في نقاء النسل إثبات لحقوق المواليد وضمان لاحترامها، وتحديد للجهة الواجب عليها الوفاء بها، ويؤدي إلى سلامة الحالة النفسية للفرد الذي يعرف أصوله وفروعه، ومعلوم أن هذه المعرفة تعطي الإنسان الثقة والقوة والاحترام، بعيداً عن الشك والحيرة والحرمان العاطفي والأسري، ويضعه في جوٍ من التفاعل والمودة مع أقاربه وأرحامه، فيكونون بالنسبة له امتداداً، وملجأ وملاذاً، وقد وصى الرسول صلى الله عليه وسلم بمعرفة هذه الصلة وإقامتها واحترامها، والمحافظة عليها، فكان يأمر الناس بقوله "تعلموا أنسابكم، ثم صلوا أرحامكم، والله إنه ليكون بين الرجل وبين أخيه الشيء

ولو يعلم الذي بينه وبينه من داخلة الرحم لأوزعه ذلك عن انتهاكه "[1]، ويشدد صلى الله عليه وسلم على إدامة هذه الصلة بقوله " الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ"[2]، وصلة الرحم تعني فيما تعنيه: المودة والتراحم والتزاور وتقديم العون والمساعدة بكل أشكالها.

(3) توفير الجو الملائم لتنشئة الأولاد وتربيتهم بشكل سوي: لا يوجد وسط أفضل لنمو الطفل وتنشئته وتربيته من وسط الأسرة، لأنه بالضرورة يكتسب منها مبادئه وقيمه وعاداته، من خلال تقليده أبويه، واستجابته لتوجيهاتهما، وحرصه على إرضائهما عن طريق اتباعهما فيما يأمران وينهيان، وذلك فإن أسمى المطلوب من الأبوين تجاه أبنائهما، أن يحسنا تربيتهم، وأن يكونا قدوة صالحة لهم في أخلاقهم وسلوكاتهم وانفعالاتهم، لأن عليهم أن يعلموا أن الأبناء يسعون إلى تقليد والديهم في كل شيء، لثقتهم بهم، ولظنهم أن ما يفعلونه هو الصواب بعينه، وبالتالي فإن كانت توجهات الآباء سليمة طيبة فإن الأولاد يتعلمون ذلك وينقلونه إلى أنفسهم، فتتهذب أخلاقهم وتسمو نفوسهم بوالديهم، وإن كانت توجهاتهم فاسدة أو خاطئة تعلم منهم أبناؤهم مثل ذلك، يقول النبي صلى الله عليه وسلم "مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدَهُ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ"[3].

(4) صيانة المجتمع من الانحلال والفساد : وذلك بضبط الشهوات بالنسبة للأزواج، فيكون الزواج الطريق الطبيعي الآمن لتصريف الشهوة وتحقيق السعادة، وتنمية الناحية العاطفية لدى الزوج والزوجة بعيداً عن الحرام والشذوذ المؤديان إلى

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، **الأدب المفرد**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الأحاديث مذيلة بأحكم الألباني عليها، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط3، 1409هـ- 1989م، ج1، ص39، حديث رقم72.

(٢) صحيح مسلم، ج4، ص1981، حديث رقم2555.

(٣) الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ- 2001م، ج24، ص128، حديث رقم1/ 15403.

الفوضى والانحلال، وبدورهما فإن الوالدين يسهمان في صيانة المجتمع من الانحلال والفساد، وبتمسك أفراده بالأخلاق الفضلى، وذلك من خلال تربية أبنائهم على الفضائل ودوام مراقبتهم وتوجيههم الوجهة السلمية، ونهيهم إياهم عن الفساد والإفساد وسوء الأخلاق، وقد أمر الله تعالى الآباء بذلك تجاه أبنائهم بقوله عز وجل [يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة] (التحريم: 6)، وذلك بالتربية والمحافظة على النفس وعلى الأبناء من الخطايا والذنوب والآثام.

(5) ضمان انتقال المال بطريق منظم وفق نظام الميراث: فالمال مال الله تعالى، ولذلك فإن المطلوب من الإنسان أن يتعامل معه وفق ما يرضي الله تعالى ويسمح به، والإنسان مستخلف فيه فقط، وهو بعد موته لن يأخذ معه منه شيئاً بل يتركه دونه، ولضمان أن ينتقل المال إلى مستحقيه، فقد شرع الله تعالى نظاماً عادلاً يحكم الميراث، منعاً لأي اختلاف أو انتهاب للمال أو محاباة لأحد الورثة على غيره، وهذا من شأنه إبقاء الذرية في عزة وكرامة وغنى دون حاجة أو عوز يفضي إلى فقر ومهانة، يقول الله تعالى [للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً] (سورة النساء: 7) والنصيب المفروض أي المقدار المحدد من قبل الله تعالى والذي لا يجوز مخالفته .

ولقد أدى غياب نظام للمواريث عند غير المسلمين إلى تيه وضلال، فقد يحرم منه بعضهم، وقد يستأثر به بعضهم أيضاً، بل وقد يحرم منه الجميع، فيعطى المال إلى غريب ليس بوارث أصلاً، أو قد يمنح لحيوان أو جماد أو يضيع في ما لافائدة منه، وبمتابعة بسيطة لأخبار بعض أهل الغرب والشرق، تجد فيهم من يبقى أهله فقراء جوعى ويورث ماله لكلب أو قط، فيعيش الحيوان هذا برفاهية ودلال، ويعيش أهل الميت بمهانة وإذلال، وقد يلجأ بعض المورثين إلى حرمان من يستحق الميراث لبغض أو كره، وكأن ملكه للمال يستمر حتى بعد موته ومفارقته الحياة، هذا نظام البشر وذلك نظام الله تعالى [صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة] (سورة البقرة: 138).

(6) زيادة الترابط الاجتماعي بين الناس، وتوثيق الصلات بين الأسر، والعشائر الكبيرة في المجتمع الواحد: المقصود ليس مجرد التعارف بمعناه العام فقط، بل المقصود توثيق العلاقات بين الناس على مستوى الأفراد والأسر الصغيرة والعشائر وتنميتها، فيما يؤدي إلى تحقيق التعاون والتكافل والتكامل في أفراد المجتمع الواحد، فالناس كلهم أخوة في الخلق مهما اختلفت أجناسهم ودياناتهم وأعراقهم، والله تعالى طلب إليهم أن يسعوا إلى التعاون فيما بينهم لإعمار الأرض وإقامة الحق والعدل، فكانت الأسرة مهداً لمثل تلك العلاقات وموثقاً لها، يقول الله تعالى في محكم تنزيله [يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم] (سورة الحجرات: 13).

المبحث الثاني: سبل الحفاظ على لغة الأبناء وإغنائها، والتحديات التي تواجه ذلك: يتوجب على الوالدين داخل الأسرة، أن يحتاطا لثقافة أبنائهما ودينهم وقيمهم، لأن في ذلك ضمان استقامة حياتهم وسلامة توجهاتهم، وعليهما كذلك أن يحتاطا للغة أبنائهم العربية، لأن اللغة هي سبيل المرء ليفقه دينه، وليفهم تاريخه، وليتواصل مع ماضيه وحاضره ومستقبله، وكذلك هي سبيله للتعارف مع قومه وأمته، فكان واجب الوالدين في ذلك كبير، وحملهما فيه ثقيل.

المطلب الأول: سبل الأسرة في الحفاظ على لغة الأبناء وإغنائها: يمكن القول بأن هذه السبل تتحقق في أمرين: أحدهما: خاص بالآباء تجاه أنفسهم، وثانيهما: خاص بتعامل الآباء مع أبنائهم، وذلك على النحو التالي:

أولاً: السبل التي على الآباء اتباعها تجاه أنفسهم: والمقصود من ذلك بالمقام الأول صالح أبنائهم، فمهما كان مستوى اهتمامهم بالقيم والمبادئ، وتعلقهم بالدين واللغة، وبكل ما هو حسن، فإن عليهم أن يراجعوا أحوال أنفسهم إذا صاروا أزواجاً وآباء، لأن أحوالهم تختلف من كونهم فرادى يعيشون لأنفسهم في الغالب، إلى صيرورتهم مسؤولين عن غيرهم، ورعاة لأبنائهم الذين يعتمدون عليهم ويحتاجون

إليهم، ويراقبونهم ويقلدونهم، بما يوجب عليهم أن يراقبوا أنفسهم وهم أمام أولادهم، وأن يضبطوا سلوكهم، ليكونوا القدوة الحسنة لهم، التي تبني ولا تهدم، ترشد ولا تضيع، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى عظم مسؤولية الوالدين تجاه أولادهم، فقال "كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت"[1]، ومعلوم أن فاقد الشيء لا يعطيه، فكيف سيكون الأب مربياً .. وكيف ستكون الأم مربية، وهما يجهلان متطلبات ذلك، ويفتقرا إلى القدرة على تحقيقه.

ما نراه في الواقع، هو أن الشباب من الذكور والإناث يتحولون بين عشية وضحاها إلى أزواج، وبعد ذلك وبتسارع كبير يتحولون إلى آباء وأمهات، وقد يكون أكثرهم غير مستعدين لهذه التطورات الكبيرة التي تطرأ على حيواتهم، ويخوضون غمارها من غير خبرة ولا معرفة ولا مساندة، والنتيجة شبه المحققة هي: وقوعهم في كثير من الزلات والأخطاء، وأكثر من ذلك، والتي قد تنتهي بالفشل التام، بما لا يؤثر عليهم فقط، وإنما يؤثر على أبنائهم، وذلك حينما يتسببون لأبنائهم بتعاسة أو انحراف أو ضياع، أو نحو ذلك.

ولعل ذلك ينبه إلى أهمية توعية المقبلين على الزواج، وإخضاعهم لدورات ودروس تبين لهم طبيعة الحياة الزوجية التي سيقبلون عليها ومتطلباتها، وتبصيرهم بحقوقهم وواجباتهم فيها، تجاه أزواجهم وتجاه أبنائهم، وتدريبهم على كيفية مواجهة التحديات التي يمكن أن تعترض تلك الحياة التشاركية، لا سيما ونحن نرى الفشل الكبير الذي يصيب كثيراً من الأسر والبيوت، ومفزع ذلك الرقم الذي تتحدث عنه دائرة قاضي القضاة، إذ بينت أن نسب الطلاق في الأردن وصلت إلى حوالي ما نسبته

---

(١) السجستاني، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت–صيدا: المكتبة العصرية، ج2، ص132، حديث رقم 1692، قال المحقق في الهامش: حكم الألباني: حسن.

25% من مجموع الزواجات عام 2011 [1]، وهذا أمر مذهل يجب أن يقف أمامه كل مؤتمن على أمن الناس وشؤونهم، وكل مسؤول في مؤسسات الدولة الحكومية والخاصة.

ولعل مما يجب على الآباء اتخاذه تجاه أنفسهم، على فيما يختص اللغة العربية تحديداً ما يلي:

(1) تقويم لغتهم العربية وتصحيحها قدر الاستطاعة: على اعتبار أن الوالدين يمثلان المرجعية الأولى لأبنائهما، فهم يتعلمون منهما، ويعمدون إلى تقليدهما في سلوكاتهما واتجاهاتهما، ومن ذلك سعي الأبناء للتمثل بلغة الآباء، ولذلك كانت مهمة تقويم لغة الوالدين أمراً مهماً للتأثير إيجابياً على لغة الأبناء فيما بعد، وفي الجملة فإن مما يجب على الوالدين ملاحظته والالتزام به ما يلي:

أ. نطق الكلمات بشكل سليم، بضبط مخارج الحروف، ومراعاة الوضوح في لفظ الكلمات، بعيداً عن التمييع والتمطيط وتسريع الكلام، أو إهمال مخارج الحروف، أو نحو ذلك، فإن كانت طريقة كلام الوالدين أو أحدهما تميل إلى الميوعة أو الليونة الزائدة بحكم ما اعتادا عليه، فعليهما ضبط اللسان والكلمات لتكون أكثر رصانة وأجود تعبيراً وأوضح معنىً، وإن كانا أو أحدهما –على سبيل المثال– ينطق حروف التفخيم بترقيق فعليه أن يصوب ذلك، فيقول (طاولة) بدلاً من (تاولة)، ويقول (وضيع) بدلاً من (وديع)، وهكذا.. حتى يتضح المعنى المراد دون خلط بمعاني أخرى قد يفضي إليها اللفظ الخطأ.

ب. البعد عن استخدام الكلمات الدخيلة التي لا أصل لها في اللغة، وإنما هي كلمات تشكلت مع مرور الزمن نتيجة عوامل متنوعة أثرت عليها، خصوصاً اختلاف الناس في طريقة التلفظ بها، بحيث جاءها التغيير شيئاً فشيئاً، من شخص إلى

---

(١) بحسب تقرير دائرة قاضي القضاة فإن عدد حالات الزواج التي سجلت خلال العام 2011 بلغت (61770) حالة، بينما بلغ عدد حالات الطلاق لنفس العام (15707) حالة، الموقع الإلكتروني لدائرة قاضي القضاة في الأردن http://www.sjd.gov.jo/stat2010/divo.pdf

شخص ومن جيل إلى جيل، حتى تناقلها الناس بينهم مع تحريفها، وبما أخرجها عن حقيقة معانيها تماماً، ومثلها أيضاً الكلمات الناشئة عن خليط من الألفاظ، أو الكلمات المعربة بطريقة مشوهة نقلاً عن كلمات أجنبية، كما في قول البعض مثلاً (فنجري) لوصف من يغالي في إنفاقه أو تصرفاته، و(بلَّاش) كفعل بمعنى (بدأ)، وقولهم (وايد) بمعنى كثير، وهو التعبير الذي يعتمده بعض عرب الخليج، أو نحو ذلك.

ج. تصحيح نطق الكلمات التي شابها تحريف من العامية، وخاصة تلك الكلمات القريبة أصلاً من الفصيحة، ولكنها تغيرت شيئاً في شيئاً لما طغى عليها من لفظ العوام، وذلك من أجل تعويد الأبناء عليها، وتقريبهم أكثر من اللغة القويمة، فبدل قول أحدهم (بدي)، يقول (بودي)، وبدل قوله (هادا) أو (هاظا)، يقول (هاذا)، وبدل (حدا)، يقول (أحد).

د. عدم استخدام مصطلحات أجنبية في الكلام العربي، اقتباساً من لغات أخرى بلفظها الأصلي أو بتعريب مشوه لها، سواء كان ذلك في النطق أو في الكتابة، خصوصاً أنه قد شاع بين كثير من الناس ميلهم إلى تطعيم لغتهم العربية بلغات أخرى، تعبيراً عن الإعجاب باللغات الأخرى، أو تأثراً بثقافات الغرب، أو إشارة إلى ما يظنون أنه تقدم ورقي يترفعون به عن قومهم، فترى هؤلاء يزجون بكلمات أجنبية بين كلماتهم العربية، أو يعربون الكلمات الأجنبية بطريق عربية، كقولهم (السكول) عوضاً عن المدرسة، وقولهم عن الاستقامة (دوز) أو (دغري)، وقولهم (اسكمله) بدل (طاولة).

ولقد شاعت اليوم لغة خليط من العربية والإنجليزية، وخصوصاً بين مستخدمي وسائل التقنية الحديثة الخاصة بالتواصل والمحادثة، وهي ما أطلق عليها البعض اسم "أرابيزي أو عربيزي"، أو "أرابيش"، جمعاً بين كلمتي: عربي وإنجليزي، والتي صار كثير من رواد المحادثة أو ما يسمى "الدردشة" وخاصة من الشاب يعتمدها بسبب افتقار بعض تلك وسائل الاتصال تلك للحروف العربية، أو ميل بعض الإفراد إلى

استخدام كلمات مختصرة لا تسعفه العربية لمثلها، أو بسبب ما يعتبره البعض حداثة اجتماعية تلزمه استخدام بعض العربية وبعض الإنجليزية أو خليطاً بينهما ليظهر بمظهر العارف المثقف المطلع.

(2) البعد عن استخدام اللغات الأجنبية بدلاً من العربية عند الحديث مع أشخاص عرب، فالواجب أن يعتز العربي بلغته وأن يحرص على استخدامها، وأن لا يجعل لغته الثانية مهما كانت حاجته إليها، وحبه لها تطغى على لسانه، لأن إهمال لغته الأم أو البعد عنها –وإن شيئاً فشيئاً– يؤدي به إلى غربة عنها، ولقد أصبح لسان البعض ثقيلاً بالعربية جراء ذلك، بل وصار كثير من العرب وخاصة المغتربين في بلاد أجنبية ينسون كثيراً من الألفاظ ويجهولون كثيراً من المعاني.

لا بد أن يحرص العربي في بلاده بخاصة، وفي البلاد الأخرى بعامة على أن يديم تواصله مع لغته، وأن يعتمدها مع غيره من العرب دائماً، وخصوصاً مع أبنائه داخل أسرته، خصوصاً أن الأبناء العرب في البلاد الأجنبية يدرسون في الغالب في مدارس أجنبية، وبالضرورة يستخدمون لغاتها ولساعات طويلة في أيام الدراسة، فكانت الحاجة حينئذ ماسة لإنعاش لغتهم الأصيلة لتنافس اللغة الأخرى التي يستخدمونها أكثر أوقاتهم ولحماية موقعها في نفوسهم، لضمان عدم ضعفها أو نسيانها.

ومن هنا، كان الواجب على الآباء –في المقام الأول– أن يعتمدوا اللغة العربية مع أبنائهم في منازلهم وأسرهم ونواديهم، وأن يحرصوا على التواصل معهم من خلالها، ولقد وقع بعض الآباء في خطأ كبير عندما تناسوا لغتهم واعتمدوا اللغات الأجنبية مع أبنائهم، حتى إذا ما كبر الأبناء جهلوا لغتهم الأم تماماً، وجهل اللغة العربية يعني بالضرورة جهل الأصول كلها، بما تحمله هذه الكلمة من معانٍ، فاللغة تحمي الدين والقيم والعرف والفهم والعلاقة مع ذوي القربى.. وتضمن التواصل مع كل ذلك.

(3) استخدام العربية الفصحى في التخاطب قدر الاستطاعة: وخاصة أمام

الأبناء ومعهم، بحيث يصبح الحديث بها شيئاً فشيئاً أمراً اعتيادياً طبيعياً، بما يشجع هؤلاء الأبناء على استخدامها دون الشعور بحرج يمنعهم منها، والمتوقع أن الناس لو اعتداوا استخدام اللغة الفصيحة في بيوتهم لأصبحت هي السائدة بينهم في كل شؤونهم وأحوالهم، ويؤكد ذلك أن الناس –فيما يلاحظ– يتقبلون الحديث بالفصيحة في وسائل الإعلام وفي المنتديات والملتقيات العامة لاعتمادها في تلك المحافل غالباً، بحيث أصبح ذلك أمراً عادياً، بل إنه قد يعاب على من يتحدث فيها بالعامية، بما يحمل غالبية المتحدثين على محاولة استخدام الفصيحة حتى مع ما قد يقعون فيه من أخطاء واضحة، فالإنسان كما يقال تبعاً لعادته، وكما تقبل الناس الفصيحة في تلك المحافل فإنهم سيتقبلونها في كل شؤونهم أيضاً إذا اعتادوها، خصوصاً أنها أقدر على التعبير والبيان، وأسهل للفهم من قبل الناطقين بها على اختلاف لهجاتهم المحلية.

(4) تعويد النفس على القراءة والكتابة، فإن ذلك مما يقوم اللغة ويصححها، وإذا لم يكن الوالدان محبين للقراءة مداومين عليها، فكيف سيقنعا أبناءهما بها، والأصل أن يحرص الناس على وجود مكتبة في بيت كل منهم، فإن مجرد رؤية الكتب يدفع الإنسان للعبث بها، وتقليبها، ومن ثم قراءة بعض عناوينها والتي يمكن أن تجذب الناظر إليها، فيبدأ في مطالعة كتاب أو بعض كتب، فيرتاح إلى ذلك ويلمس فوائده، فيتعلق به.

ثانياً: السبل التي على الآباء اتخذاها تجاه أبنائهم: وهي كثيرة ومتعددة، بما لا يسع المقام لذكرها، ولكن يمكن القول بأنها جميعاً تلتقي على مبدأ دفع الأبناء تجاه حب لغتهم وتسهيل الطرق المؤدية إلى ذلك بترغيبهم تارة وبإلزامهم تارة أخرى، ومن تلك الطرق، ما يلي:

(1) تشجيع الأبناء على القراءة والكتابة : في إطار ما يتلقاه الأبناء من واجبات مدرسية أصلاً، وفي خارج ذلك أيضاً، كنشاطات إضافية يكلف الآباء أبناءهم بها، فعلى الأب والأم أن يشرفا على أداء أبنائهم الخاص بالقراءة والكتابة، كقراءة القرآن الكريم ودروس الكتب المدرسية لا سيما دروس اللغة العربية، ثم على

الوالدين أن يراجعا ما يكتبه الأبناء من واجبات، فيصححون لهم ما أخطأوا فيه من الكلمات أو من الألفاظ لتتواءم مع أوضاعها الصحيحة، ولا بأس، بل ينبغي على الوالدين أن لا يقنعا بحدود ما تطلبه المدرسة، وإنما عليهما حمل الأبناء على ممارسة اللغة من خلال تكاليف إضافية، مستغلين بعض الظروف أو الأوقات المناسبة، كالطلب إليهم قراءة قصيدة جميلة، أو حثهم على كتابة خاطرة أو قصة، أو الطلب من أحدهم قراءة خبر مهم في الجريدة، كخبر يتناول قرارات صدرت عن وزارة التربية والتعليم، أو مقالة عن مشكلات طالبية في بعض المدارس، ونحو ذلك، بما يحفز الأبناء على الالتصاق أكثر بلغتهم قراءة وكتابة.

ومن قبيل ذلك أيضاً: حث الأبناء على المشاركة في المسابقات المتعلقة باللغة العربية، سواء الصادرة عن المدرسة أو عن الجامعة إن كانوا في مستوى التعليم الجامعي، أو تلك المعلنة من المساجد أو الجهات الثقافية المختلفة، ويحاول الوالدان ما استطاعا أن يهونا أمر المشاركة، ويعظما قدرة أبنائهم واستعدادهم على تحقيق مراكز جيدة بين المشاركين، لما في ذلك من تعزيز للثقة بالنفس، ودفع لكسر الجمود أو الخوف من خوض تلك الغمار.

ومن طرق تشجيع الأبناء على ممارسة اللغة الفصيحة : القيام بمسابقات المبارزات الشعرية، لما يتضمنه الشعر من تعابير سامية، وألفاظ رصينة في الغالب، وقد شاعت مثل هذه المسابقات في الماضي بحيث أصبحت جزءاً من سياق النشاطات المحببة بين الناس، وساهمت فعلاً في جذب الشباب والأطفال نحو الشعر ومحاولة إنشاده وكتابته.

(2) عدم تفويت أية فرصة لتصويب أخطاء اللغة التي تظهر أمام العيان، كتنبيه الأبناء إلى خطأ مكتوب على لوحات المحال التجارية مثلاً، أو على بعض بطاقات الدعوات والتهاني، أو ما يعرض على شاشات التلفزة والحواسيب، فينبه الوالدان أبنائهما إلى ما تحمله تلك المواد من أخطاء في اللغة، ويبينا لهم صوابها، فكثيراً من الكتابات تثبت همزة القطع بدل همزة الوصل أو العكس، فنقرأ في بعض

الإعلانات مثلاً عبارة (مواعيد الإستقبال)، ويكتب اسم علي مثلاً على نحو (على)، أو يحى على نحو (يحي)..

ومن المهم أن يستغل الوالدان أية فرصة تسنح لمدح اللغة العربية وإعلاء شأنها في نفوس الأبناء، فإذا ما عرض لهم كلمات أجنبية بألفاظها الأصلية أو بحروف عربية، نبها الأبناء إلى حب اللغة العربية وأولوية استخدامها بدل اللغات الأجنبية، كون المعني بها عرباً أصلاً، وهم في بلاد عربية ولغتهم عربية، فما الحاجة إلى لي عنق اللغة بحروف أو معان أجنبية، ونبها أيضاً إلى سوء تعريب الكلمات الأجنبية من خلال كتاباتها بحروف عربية، ومن أمثلة ذلك ما نقرأه أحيانا ًعلى واجهات بعض المحال التجارية من كلمات مثل: (جوردن) بدلاً من (الأردن)، أو عناوين مثل (sale) بدلاً من (تخفيض)، أو (هاي ويي) بدلاً من (الطريق السريع).

(3) اختيار المدارس العربية لتعليم الأبناء دون الأجنبية، وليس معنى ذلك إهمال تعلم اللغات الأجنبية، أبداً، فتعلم اللغات أمر مهم جداً من أجل فهم الآخرين وفهم حضاراتهم وتسهيل التواصل معهم، ولكن الخطورة في ذلك زج الأطفال في مراحل تعليمهم الأولى في مدارس أجنبية لا تعتمد لغتهم الأم إلا فيما قل من مواد تعليمية، وكأنهم يعيشون في بلاد أجنبية، وهو ما قد يؤدي إلى ربط الأطفال بلغة غير لغتهم، وبحضارة غير حضارتهم، وبما يصعب عليهم فيما بعد التواصل مع لغتهم ومع قومهم وتاريخهم، خصوصاً وأن الأطفال لا يدركون مرامي الأشياء كالكبار، ويجهلون خطورة إضعاف لغتهم الأم، وتزداد الخطورة والتحدي مع إقبال كثير من الناس اليوم على اختيار المدارس الأجنبية لأبنائهم طمعاً في تسهيل دمجهم في المجتمعات الغربية مستقبلاً، مغفلين عواقب ذلك، بالرغم من أن المكاسب التي يطمعون بها لأبنائهم مهما بلغت فلن تساوي قيمة التمسك بهوية الطالب الحقيقية التي يجب أن ينتمي إليها ويعتز بها، وهي التي تضمن له صلة سليمة مع ثقافته وقيمه ومبادئه.

إن الذي يحز في النفس أن كثيراً من الدول العربية تسمح بفتح مدارس وجامعات ناطقة بلغات أجنبية فيها من غير ضوابط تنظم عملية التعامل معها، والتسجيل فيها، بما يحمي الأجيال العربية من خطورة اندماجهم العشوائي في المؤسسات الناطقة باللغات الأجنبية، وبما قد يؤدي إلى فقدان لغتهم وهويتهم أحياناً، ومما يحز في النفس أكثر أن الدول الأجنبية الغربية منها والشرقية ومنها تلك التي تقوم بفتح مؤسسات تعليمية وتثقيفية في بلاد العرب، تمنع المهاجرين العرب إليها من فتح مدارس ناطقة بلغتهم الأم، وتلزمهم دمج أبنائهم في مدارسها، متذرعة بضرورة الحفاظ على هوية البلد، عن طريق توحيد هوية الطلبة واتجاهاتهم على اختلاف مشاربهم وثقافاتهم لتسهيل اندماجهم مع بعضهم من جهة، وتسهيل اندماجهم مع أنظمة الدولة وأعراف مجتمعها من جهة أخرى، وما هو في الحقيقة إلا اعتزازاً من تلك الدول بلغتها، وحفاظاً منها على تاريخها وهويتها.

(4) تشجيع الأبناء على ارتياد المؤسسات الداعمة للغة العربية: كالمساجد ومراكز تحفيظ القرآن الكريم والمؤسسات الثقافية ونوادي اللغة ومجامعها، ودفعهم للاندماج ببرامجها والاشتراك بنشاطاتها التي تعمل على تعليم المشاركين قواعد اللغة، والشعر، والقصة والخاطرة ونحو ذلك، مما يرقى بلغة الأفراد ويزيد من تعلقهم بها، ولعل من أبرز المؤسسات الداعمة للغة العربية والاهتمام بها المساجد، لما تهتم به من تعليم القرآن الكريم تلاوة وتجويداً وحفظاً وتفسيراً، مع ربط ذلك كله بالدين والإيمان، ومعلوم دور الدين في الحفاظ على القيم والمبادئ والخلق واللغة، لأنها جميعاً مفردات أساسية في الخطاب الديني، وسلوكاً متبعاً في كل شعائره، وهذا من أهم الأمور التي تعلم اللغة وتثبتها في نفوس الناشئة، وتروج لروح الانتماء إليها.

المطلب الثاني: التحديات التي يمكن أن تضعف جهود الأسرة في إغناء لغة الأبناء أو تحد منها: وهذه التحديات يمكن أن تكون داخلية، بمعنى أن مصدرها من داخل الأسرة ذاتها، ويمكن أن تكون خارجية، أي أن مصدرها من خارج نطاق

الأسرة، وبالتالي فالتحديات في هذا الباب قسمان:

القسم الأول: التحديات الداخلية: ومنها:

(1) ضعف لغة الوالدين العربية، أو عزوفهما عن استخدامها في حياتهما، فهذا الضعف لا شك أنه ينعكس على أبنائهما، وعلى مهاراتهم اللغوية، ولذلك كان على الوالدين –كما أشرنا سابقاً– أن يعتنيا بلغتهما العربية وأن يعتزا بها وأن ينحازا إليها دائماً، لينعكس ذلك على أبنائهما.

الأخطر من ذلك، أن يؤمن بعض الآباء والأمهات أن اللغات الأجنبية أجدر من اللغة العربية وأن استخدامها أولى، لأنها بحسب ظن البعض علامة على التقدمية والرقي، وهذا فوق أنه جهل بقيمة اللغة العربية وحقها على أتباعها فهو ضعف واضح في انتماء هؤلاء لدينهم، فلو كان ذلك الانتماء حياً في قلوبهم لتمسكوا بلغتهم، لأنها هي الموصلة إليه.

(2) انتشار المدارس والجامعات ذات اللغات الأجنبية: فلقد أصبحت المدارس الأجنبية التي تدرس بلغاتها الأجنبية منتشرة كثيراً في بلادنا، وصار كثير من الناس يتسابقون إلى إدخال أبنائهم إليها، رغم ارتفاع أجورها أضعافاً مضاعفة عن أجور المدارس الوطنية، ورغم خطورة هذه المدارس على لغة الأبناء وثقافتهم وأخلاقهم أحياناً، إلا أن الحكومات لا تمانع من وجود هذه المدارس وانتشارها، لا بل إن الأمر لم يقف عند حدود المدارس، وإنما تعداه إلى الجامعات، فضلاً عن المؤسسات الأخرى كمراكز اللغات والثقافات والفنون والرياضات، مع أن أكثر دول العالم وخاصة تلك المسماة متقدمة تعتز بلغتها وتعتبرها لغة التعليم الوحيدة أو الأساسية، وتمنع وجود مؤسسات تعليمية أجنبية على أرضها وخاصة في المراحل الإلزامية للتعليم، ولو كان ذلك التعليم يستهدف الأطفال المهاجرين وليس الأصليين أصلاً، ومكمن الخطر في انتشار التعليم باللغات الأجنبية أن الطالب في تلك المؤسسات يدرس جل مواده

العلمية باللغة الأجنبية، ويعايشها طيلة وجوده في المدرسة أو في الجامعة أو في المؤسسة التعليمية، مما يضعف معرفته بلغته وخاصة العلمية، ويضعف ارتباطه بها، وفهمه لها، وقد ينشأ مع الأيام غريباً عنها، خصوصاً أن الطالب عندما ينتهي من الدارسة في المدارس الأجنبية يكمل تعليمه في دول تلك المدارس، بشكل إلزامي أو اختياري، ذلك لأن بعض الشهادات الصادرة عن تلك المدارس تكون ضمن برامج لا تقبل في البلد الوطن، فيضطر الطالب إلى السفر إلى البلد الأجنبي ليكمل تعليمه، وقد يختار الإقامة والعيش في نفس البلد طيلة حياته.

إن إرسال الآباء أبناءهم إلى المدارس الأجنبية ليعتبر تجاوزاً كبيراً في حق لغتهم وانتمائهم لها، ويؤثر كثيراً على فهم دينهم وأعرافهم وقيمهم، مما يضعفها في نفوسهم، بل ويجعلهم غرباء عنها، بما يسهل عليهم التخلي عنها كلياً في المستقبل.

ومن هنا، كان من مسؤولية الآباء تجنب ذلك الأمر الخطير، والاعتزاز بلغتهم، والإصرار على أن يعتز أولادهم بلغتهم أيضاً، مقدمين ذلك على الفوائد التي يمكن للطفل أو الشاب أن يجنيها من دراسته باللغة الأجنبية، إلى جانب أنه يمكنه أن يدرس اللغة الأجنبية التي يريد في المدارس أو المراكز اللغوية كلغة ثانية إلى جانب اللغة العربية الأم.

وهذا لا ينفي ولا يناقض أهمية طلب العلم في الدول الأجنبية أو في المؤسسات الأجنبية، لكن على أن يكون هذا الأمر في مراحل تعليمية متقدمة، تكون لغة الطالب فيها قد قويت وتأسست، ويكون هو في سن وحال يعلم فيها صالحه، ويختار بإدراك تام ما ينفعه ولا يضره، فيكون التعليم باللغة الأجنبية إضافة إيجابية له وليس خطراً عليه.

(3) وجود خادمة أجنبية في البيت من غير ضوابط تحكم تعاملها مع الأبناء:
ومعلوم ما للخدم من تأثير على النشء، وخصوصاً أن كثيراً منهم نساء، والمرأة أقرب للطفل من الرجل، ومعلوم أيضاً أن أكثر تلك الخادمات في بيوتنا غير مسلمات أولاً،

وأنهن لسن بعربيات ثانياً، وبالتالي ومن خلال مخالطتهن للأطفال في غالب اليوم وفي غالب شؤونهم، يؤثرن فيهم كثيراً، ولأن معظم الأطفال الذين يحتاجون إلى رعاية الخادمات يكونون في سني أعمارهم المبكرة فهم يتأثرون بالخادمة وبلغتها، وتجدهم في كثير من الأحيان يحاكونها في طريقة كلامها، وهذا بالتأكيد يؤثر على سلامة لغة الأطفال، فتراهم يقعون في العديد من أخطاء النطق والتلفظ بالحروف والكلمات.

ولذلك، يلزم الوالدين إن اضطرا إلى استقدام خادمة إلى البيت، أن يضبطا تعاملها مع أطفالهما، ويحرصا على أن يراقبا سلوك أبنائهم، وخصوصاً ما يتعلق بطريقة كلامهم وتلفظهم بالعربية، فضلاً عن وجوب أن يحتاطا لوقوع أخطاء في تصرفات الخادمة لا سيما ما يمس الأخلاق والدين، وعليهما أن يراجعا ولو بطريقة غير مباشرة حصيلة ما يتعلمه الأبناء في ظل وجود الخادمة، ويقوما ما يكتشفا أنه سلوك خاطئ.

(4) إقامة الأسرة في دول غير عربية: السفر إلى دول غير عربية قد يتضمن فوائد كثيرة، ولكن في الواقع له مضار كثيرة أيضاً على الكبار وعلى الصغار، ومنها ما يتعلق باللغة العربية، حيث لا يجد الأهالي المهاجرون مفراً من إرسال أبنائهم إلى المدارس المحلية هناك، وتلك المدارس تعلم بلغة الدولة، حيث لا تسمح دول الغرب في الغالب وجود مدارس ناطقة باللغات الأجنبية والتي من ضمنها العربية، وإن سمحت فيكون ذلك بعدد قليل جداً لا يغطي حاجة كافة أعداد المهاجرين، وبوجود الطفل العربي في بيئة غير عربية في سن النشأة المبكرة وسن اكتساب المعارف والمهارات، فإنه يندمج في البيئة الجديدة، وشيئاً فشيئاً يتقن اللغة والثقافة الغربية، بموازاة فقدانه مهارات الثقافة واللغة العربية، وقد يغدو الأمر أكثر صعوبة في حال كانت أمه غير عربية، بما يصرفه بشكل كامل أو شبه كامل عن لغته، سيما إذا كان الأهل لا يلقون للغة العربية بالاً ويعتمدون اللغة الأجنبية بديلاً عن العربية، فينشأ الطفل غريباً فعلاً عن لغته.

إن على العرب المهاجرين أن يعلموا أن ضرائب باهظة تترتب على إقامتهم في

الدول غير العربية، وأن ما يجدونه من إيجابيات الإقامة هناك قد يكلفهم غالياً في أبنائهم، وعليهم أن يجعلوا إقامتهم مؤقتة، ولأسباب محددة، بحيث إذا انقضت تلك الأسباب عادوا إلى ديارهم في سبيل المحافظة على أنفسهم وعلى أبنائهم، وأما هؤلاء الذين لا يجدون مفراً من العيش في بلاد الغربة فإن عليهم أن يتخذوا كافة الاحتياطات التي تضمن حماية أنفسهم وأبنائهم ودينهم ولغتهم وقيمهم وتواصلهم مع بلادهم.

(5) كون الأم غير عربية: يعتبر هذا الأمر تحدٍ كبير للنشء، خصوصاً إذا كانت الأم غير مسلمة، فيجتمع على الطفل مصائب متعددة، أخطرها اثنتان: الأولى في دينه، والثانية في لغته، وإذا تفردت الأم بتربية الطفل وتنشئته ومتابعة أحواله دون الأب، بسبب انشغاله أو إهماله أو عدم وجوده أصلاً، فإن الولد يكتسب من أمه كل شيء تقريباً، ويكون مثلها في أغلب أموره.

ولذلك ينبغي على الرجال أن ينتبهوا إلى هذا الأمر الكبير، وإذا ما اختاروا الزواج من أجنبية لا تنطق العربية، فعليهم التأثير فيها أولاً، وتعليمها اللغة العربية، وهدايتها إلى الإسلام، ليضمنوا حسن تأثيرها على أبنائهم، وإلا فإن عليهم أن يعوضوا النقص الذي يحصل للطفل مع أم غير عربية، ويحاولوا جاهدين أن يتابعوا أحوال أبنائهم، ويجبروا نقصهم.

القسم الثاني: التحديات الخارجية، وهي تتعلق بالهيئات والأفراد والحكومات، وقد يكون من أبرز تلك التحديات:

(1) ضعف اللغة وأداؤها في المدارس: فمهما بلغ حرص الوالدين على سلامة لغة أبنائهما العربية، ومهما بلغت جهودهما في تقويتها عندهم، فإن ضعف لغة التعليم المدرسي، وضعف معلمي اللغة العربية بخاصة، سوف يؤثر سلباً وبشكل أكيد في لغة الأبناء، وللأسف فإننا نجد في مدارسنا كثيراً من المعلمين الذين يفتقدون إلى اللغة السليمة، وتزداد الأمور سوءاً عندما يكون ملعمو اللغة العربية بشكل أخص يخفقون

في إتقان اللغة، وهذا من شأنه إضعاف لغة الطلبة، وإحداث فجوة بينهم وبين لغتهم، خصوصاً أن الضعف يأتي اصلاً من جانب القدوات التي يلزمهم أن يقتدوا بها.

(2) انتشار استخدام العامية في البيئات المحيطة بالأطفال، فكثير من أفراد المجتمعات المحلية في بيئات الأطفال المختلفة كالأقارب، والأصحاب، والجيران، والبائعين، وسواهم، يتحدثون باللهجات العامية، لأنهم إما أنهم لا يعرفون الفصيحة أصلاً، أو أنهم لا يودون أن يعرفوها ويتعلموها، ويصرون على عاميتهم بكل ما فيها من أخطاء وإشكالات ونواقص، ومن شأن هذا أن يؤثر على سلامة لغة الأطفال وعلى مدى إقبالهم نحو استخدام الفصيحة، بل قد يشعر بعضهم إذا ما استخدم اللغة الفصيحة بالحرج والغربة بين قومه، هذا إن لم يبادروه بالتعليق والاستهزاء، وكأنه جاء بشيء غريب، أو مستهجن، أو خاطئ، مما يفضي في نفس النشء انطباعاً بأهمية التزام العامية وعدم التحول منها إلى الفصيحة حتى يتحاشوا ردود فعل من حولهم.

(3) اعتماد لغة محادثة هجينة في وسائل الاتصال الحديثة، والتي يعتمد مستخدموها لغة هجينة بين العامية والفصيحة والأجنبية، ويلجأ إليها كثير من الناس لسهولتها، ولما فيها من اختصارات توفر كثيراً من طول الكتابة وطول الحديث، ولقد انتشرت هذه اللغة الهجين مع انتشار الأجهزة التقنية المحمولة منها وغير المحمولة، ومع انتشار طرق الاتصال عبر شركات الاتصال وعبر شبكة المعلومات العالمية، حتى إن بعض الشباب صار يبتدع أرقاماً وحروفاً من اللغات الأجنبية للتعبير عن كلمات أو مصطلحات في اللغة العربية.

(4) تقصير الحكومات في واجبها تجاه حماية اللغة العربية ونشرها، ويمكن القول إن قصور الحكومات قد انعكس على جل مجالات الحياة ومناحيها، بدءً من التعليم ومروراً بالإعلام وانتهاء بالتشريعات، ومهما كان دور الأسرة كبيراً في حماية لغة أبنائها، وإغنائها في نفوسهم وواقعهم، فإن الأسرة تظل قاصرة عن تحقيق مرادها في ذلك ما لم تتلقى الدعم والحماية والتشجيع من قبل الحكومة، وقد تكون الأسرة ذاتها غير قادرة على القيام بدورها في إغناء لغة أفرادها، فكان على الحكومات واجب

أن تسد ذلك العجز، وأن تقوم بدور نشر اللغة الفصيحة على كل المستويات، ومتابعة تحقيق ذلك بالوسائل المختلفة.

(5) انتشار الإعلام ذي اللهجة العامية، وإبرازه اللغة الركيكة أو العامية في كثير مما يبثه، من تمثيل، أو غناء، أو حوار، وفي كثير من البرامج الموجهة، وهذا الإعلام بهذا التوجه يؤثر على سلامة لغة السامع والمشاهد، ويفرض على المستهدف أن يتلقى منه تلك الصورة المشوهة، ويشجعه على أن يلتزمها، خصوصاً مع انتشار الإعلام وبوسائل مختلفة، وطول ساعات تعامل الناس معه، وخصوصاً "التلفزيون" و"الإنترنت"، ولقد تمادت بعض محطات التلفزة والإذاعة فصارت تبث مقاطع إخبارية، أو تقارير ميدانية باللهجة العامية بحجة أن العامية أقرب إلى الناس من الفصيحة، وهذا محض خطأ، فإن الفصيحة هي الأصيلة، وهي التي تعطي الفهم الدقيق للمعاني وليس العامية.

والحمد لله رب العالمين

المراجع

المراجع: بحسب ورودها في البحث:

(١) مصطفى، إبراهيم وآخرون، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الوسيط**، القاهرة: دار الدعوة.

(2) الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.

(3) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله. **جامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة

ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، 1422هـ.

(4) مسلم، أبو الحسن القشيري النيسابوري، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

(5) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، **الأدب المفرد**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الأحاديث مذيلة بأحكم الألباني عليها، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط3، 1409هـ- 1989م.

(6) الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ- 2001م.

(7) السجستاني، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت- صيدا: المكتبة العصرية.

(8) دائرة قاضي القضاة، الموقع الإلكتروني http://www.sjd.gov.jo/stat2010/divo.pdf.

التعليقات والمناقشات

- **د. حمدان نصر**

تحدث عن أهمية دور الآباء والأمهات في إثراء اللغة العربية لدى الأبناء، إلا أن هناك فروقاً فردية في قدرة الأسرة الأردنية على تقديم العون والخدمة اللغوية المناسبة.

ورأى أنه لا بد من اقتراح برامج ترقى بدور الأسرة الأردنية وتوجه خدمة للعربية، ومن أمثال ذلك ما قدَّمته طالبة دكتوراه في أطروحتها حول تدريب الأمهات لتقديم الخدمة في مهارات التواصل، وقد ارتقت بمستوى هذه الأسر وحققت مراحل متقدمة في هذه المهارات.

كما أشاد بدور الأسر الأردنية التي تدفع بقوة لتعليم أبنائها، رغم محدودية الموارد إيماناً منها بأن العلم هو المدخل الحقيقي لإحداث التغيير النوعي في مجالات الحياة المختلفة.

- **م. حاتم البشتاوي**

تحدث عن الفرق الكبير الذي طرأ على الأسر العربية في الخارج؛ إذ لم يكن هناك مساجد ولا مدارس تدرس العربية، أما الآن فإنها متوافرة وبكثرة.

- **د. زياد حمد**

قال: إن الفصاحة ترفع قيمة المثقف، وتعلم العربية يزيد في العقل كما قال الأوائل، وكما يقول جل وعلا: [الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان)؛ فالبيان يحتاج إلى تعليم أبنائنا الكلام وفن القول والتعبير عن الرأي والاقتداء بالعرب الفصحاء، والكلام الذي نبتغيه الآن هو الكلام الفصيح البليغ الذي يراعي مقتضى الحال، بعيداً عن التفصيل الممل والإيجاز المخل.